**المقاربة الأسلوبية: الخصائص والآليات:**

الجدير بالإشارة أولا التأكيد على اختلاف ضروب هذه المقاربة باختلاف ثقافة الدّارسين، وباختلاف زوايا النظر التي ينظرون منها إلى النص، وذلك بسبب أنّ التحليل الأسلوبي يمثل نقطة التقاء اللسانيات وعلم البلاغة أو اللسانيات والنقد الأدبي ... ولكن بالرغم من اختلاف ضروب التحليل الأسلوبي إلا أنّ هناك مبادئ يجب أن يستحضرها الناقد الأسلوبي؛ ومنها:

- وضع الجانب اللغوي في الحسبان باعتبار أنّ النقد الأسلوبي يتناول نصوصا قامت اللغة بوضعها.

- وضع الجانب النّفعي في الحسبان مما يؤدي إلى إدخال عناصر غير لغوية في عملية التحليل كالمؤلف والقارئ والموقف التاريخي، وهدف النص الأدبي، وكذلك الجمال الأدبي حيث الكشف عن تأثير النص في القارئ.

- ضرورة توافر التحليل الأسلوبي –في مختلف اتجاهاته- على أدنى قدرة من التّذوق الشخصي لدى الدّارس قبل استخدام المقاييس العلمية في التحليل.

- والمفروض في المنظور الأسلوبي أن يشمل كامل ظواهر النص المميّزة، وعمليات إنتاج النص وتلقّيه معا، وأن يعتمد على مبادئ لغوية وغير لغوية.

ويضاف إلى هذه المبادئ العامة التحليل الأسلوبي مجموعة من الخطوط يقتضيهاهذا التحليل ليحقق للنص وجوده، رصدها الباحث الأسلوبي "علي ملّاحي" كالآتي:[[1]](#footnote-2)

1- تحديد بنية العمل الأدبي، بنية أسلوبية صغرى أو بنية أسلوبية كبرى، مع الانفتاح على شفافية اللغة كسبيل لتلقّي النص بطريقة لذيذة تحمل النص في قداسة ومحبّة.

2- أن ينتقل من عملية الاستعداد النفسي والرّغبة التّذوّقية والوجدانية إلى معايشة النص والتفاعل معه، أن يحقق الألفة بين النص والقارئ.

3- التّأكد من أنّ المتلقّي تجاوز لحظة الانبهار بالنص وصار قادرا على مفاتحة النص وتحوّله إلى طرف في عملية الإبداع.

4- تقتضي القراءة الأسلوبية تسلّح القارئ بخلفية ثقافية عن النص ليستوعب ما أمكن من الرّموز والإشارات، ومن ثم كل الوقائع الأسلوبية الدّالة في النص المقروء، وهذا لعدم الخلط بين رسالة شعرية ورسالة نثرية.

5- النّظر إلى النص على أنه متكامل، وظيفته الإثارة والإيحاء لا تقديم الفكرة على نحو واضح ساذج.

من هذه الخطوات الضرورية نستخلص ما يلي:

- إنّ التناول الأسلوبي ينصبّ على اللغة الأدبية كونها تمثل التنوّع الفردي المتميّز في الأداء بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي.

- يتعامل التحليل الأسلوبي مع البنى التركيبية، وينظر ي مدى تخلّصها من الطابع العام والارتقاء إلى مستوى الأدبية، مع قراءة ذلك تأويليا بالوقوف على منطقة المفردات المعجمية للبحث في دلالتها المباشرة وغير المباشرة.

- تقوم طبيعة القراءة الأسلوبية على الوصف اللغوي المجرّد للمثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية، مع وصف التأثيرات الإخبارية الدّلالية والجمالية لتلك المثيرات مع تحديد قيمتها الأسلوبية.

من جهة أخرى، يجب أن تتبنّى عملية التحليل الأسلوبي تفكيك العمل الأدبي إلى وحدات صغيرة قد تصل إلى اللفظ المفرد أو الحرف الواحد، ودراستها منفصلة عن العمل الأدبي ثم تجميعها مرة أخرى وبحثها في إطار الأثر الذي يحتويها.

وفي سياق ذلك، على الناقد أن يولي كل عنايته للعناصر الأدبية فحسب،من حيث: الأصوات، والتراكيب... ويشير هذا الكلام إلى أنّ التحليل الأسلوبي يقسّم إلى مستويات، ولعلّ هذا –كما يرى "صلاح فضل"- ما يرشّح الأسلوبية بلوغ صفة العلمية وتحقيقها[[2]](#footnote-3) فتقسّم الدّراسة إلى مستويات استجابة لروح البحث العلمي أو أخذ بأسبابه وشروطه، على أنّ كل واحد من هذه المستويات يهتم بجانب معيّن من النص، وذلك كالآتي:

**1- المستوى الصوتي:**

يهتم فيه الدّارس بتحليل الخاصيات الصوتية برصد الظواهر الخارجة عن النّمط وبحث دلالتها بما يفيد دراسة الأسلوب، أي: كما يرى "محمد الناصر العجيمي" دراسة الخصائص التعبيرية للأصوات، أي: تعيين تلك المسهمة في اكتساب الإرسال الصوتي-في الشعر خاصة- قيمة إضافية وإضفاء مسحة جمالية تؤثر في متلقّي النص.[[3]](#footnote-4)

**2- المستوى النّحوي (التركيبي):**

يُبرز التحليل الأسلوبي التراكيب الغالبة في النص (التركيب الفعلي أم الاسمي) أو الجمل الطويلة المعقّدة أو القصيرة مع دراسة العلاقات والتّرابط والانسجام الدّاخلي في النص، وتماسكه عن طريق الرّوابط التّركيبية المختلفة، على أنّ الأسلوبية تكشف عن تلك التّراكيب اللغوية التي تحمل الشّحنات الشعورية والأدوات الجمالية التي تبرزها، وتبرز دلالات التراكيب اللغوية.

**3- المستوى المعجمي:**

ينصرف نحو المعجم حيث يعمل على رصد الكلمات المكرورة أو المنتمية إلى حقول دلالية واحدة، والتي تُكسِب نسيج النّص وحدة واتّساقا، ويلتفت الباحث –هنا- إلى ما تكتسبه الكلمات في سياقاتها المختلفة من إيحاءات وتعدّد في المعنى، دون إغفال ما للمكوّن الصّرفي من دور في السّمة الأسلوبية التعبيرية للخطاب الأدبي.

**4- المستوى الدّلالي:**

يتناول فيه المحلّل الأسلوبي الألفاظ وما فيها من خواص تؤثر في الأسلوب يصنّفها إلى حقوق دلالية، يدرس طبيعة الألفاظ، وهل وضعت في سياق مغاير، كما يتناول الباحث في هذا المستوى معنى الجمل والعبارات في النص، وهو معنى يتجاوز معنى المفردات، ويتناول كذلك الموضوعات والأغراض التي يعرض لها الكاتب وطريقة عرضه لها وتطوّرها في العمل الفني.

ومن هذه المستويات يتصيّد الباحث الأسلوبي جماليات النص تصييدا أسلوبيا، ولا توجد في التحليل الأسلوبي وصفة جاهزة وتطبّق تطبيقا آليا، ولا توجد قواعد متحجّرة ولا آليات ثابتة لأن النص الأدبي أقوى من هذه الآليات جميعا... إذا، فالمقاربة الأسلوبية تنطلق من فعالية العنصر اللغوي في تموقعه على مستويات عدّة لا تتغذّى على قواعد جاهزة بل تستنبط جمالية النص الأدبي ... والواقع أنّ لكل نص أدبي قواعده الأسلوبية المميّزة بها يتحوّل إلى أثر جمالي.

1. - ينظر: مجلّة "اللغة والأدب" قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الجزائر، ع: 14، ديسمبر 1999، من مقال "مفاتيح تلقّي النص من الوجهة الأسلوبية"، علي ملاحي، ص: 18- 19- 20. [↑](#footnote-ref-2)
2. - ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته. النادي الثقافي- جدة، 1988، ص: 115. [↑](#footnote-ref-3)
3. - محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية. دار محمد علي الخاميّ- صفاقس/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية- سوسة، ط 1، ديسمبر 1998ـ، ص: 161. [↑](#footnote-ref-4)